وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت ـ كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية دكتوراه ألادب

المادة: مناهج نقدية قديمة

المحاضرة الخامسة بعنوان:

المنهج الاجتماعي وأصوله في النقد العربي القديم

أ.د مريم محمد جاسم

١٤٤٧هـ **٢٠٢٥ ـ ٢٠٢٦م**

المنهج الاجتماعي هو منهج يربط بين الأدب والمجتمع بطبقاته المختلفة فيكون الأدب ممثلا للحياة على المستوى الجماعي الفردي باعتبار أن المجتمع هو المنتج الفعلي للأعمال الإبداعية فالقارئ حاضر ذهن الأديب وهو وسيلته وغايته في آن واحد.

تأصيل المنهج الاجتماعي عند العرب:

إن النص الأدبي في المنظور العربي القديم ليس بنية مغلقة مكتفية بذاتها، بل هو ظاهرة علائقية تتنفس من خلال رئة المجتمع، مدركين أن المفردة لا تكتسب شرعيتها الجمالية إلا إذا كانت صدىً لتربة اجتماعية محددة.

لم يكن **ابن سلام** في كتابه (طبقات فحول الشعراء) مجرد مصنف لمراتب الشعراء، بل كان (منظراً جغرافياً واجتماعياً)، لقد أدرك أن (الفحولة) ليست موهبة مجردة، بل هي نتاج بيئة اجتماعية، يقول ابن سلام في تعليل تفاوت الشعراء بين مكة والمدينة والطائف:

(كان لمكة والمدينة من الشعر في الحرب ما ليس لغيرهما، فلما صارت الحرب لغةً للقبائل، صار الشاعر هو لسان هذه الحرب).

لقد ربط ابن سلام بين ازدهار الفن وبين الحاجة الاجتماعية، فالشعر في مكة –قبل الإسلام– كان شعراً تجارياً واجتماعياً يعكس طبيعة قريش، بينما في المدينة كان قبلياً نضالياً، هذا التقسيم يثبت أن الناقد القديم آمن بأن المضمون الاجتماعي هو الذي يؤثر في الجنس الأدبي.

ويعد ابن سلام ان من اسباب الانتحال هو نتيجة التأثر الاجتماعي، لكي لا يقل مرتبتها بين بالقبائل الاخرى، فيقول: لما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقلّ بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان

قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أنْ يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسن شعرائهم، ثم كانت الرواة بعدُ فزادوا في الأشعار.

ابن سلام يؤكد هنا أن الشعر صُنع أو(زُيف) لتلبية حاجة القبيلة لتعزيز مكانتها، النص يوضح أن في بعض الأحيان تكون العشيرة هي المحرك الحقيقي للقول؛ فالفرد (الشاعر أو الراوي) يكتب ويؤلف بما يخدم الأيديولوجية والسمعة الجماعية.

الأدب هنا ليس للفن فقط، بل هو أداة سياسية واجتماعية تُستخدم للمنافسة على الوقائع والأيام، فيربط ابن سلام بين كثرة الوقائع (الواقع المادي والسياسي) وكثرة الشعر (المنتج الأدبي)، فكلما قوي المجتمع مادياً، قويت صورته الأدبية.

ويُعتبر **الجاحظ** الرائد الأول في ربط البيان بـ(المرتبة الاجتماعية)، في كتابه البيان والتبيين، اذ يرى الجاحظ أن لكل طبقة لغتها؛ فكلام الملوك يختلف عن كلام السوقة، وكلام الأعراب يختلف عن كلام المولدين، يقول الجاحظ:

(ينبغي أن يكون اللفظ في حيز المعنى، والقائل في حيز المستمع، فلكل مقام مقال، ولكل بيئة لسان).

حيث يُحاكم النص بناءً على مدى ملاءمته للوسط الاجتماعي الذي قيل فيه. فالجمال عند الجاحظ هو المطابقة للمقتضى الاجتماعي.

وعندما انتقالِ المجتمعِ العربي من البداوة والقبلية إلى التمدن والحضارة في العصرِ العباسي، شهدَ المنهجُ الاجتماعي في النقدِ تحولاً جذرياً، فقد بدأَ النقادُ، مثل **الآمدي** في الموازنة يلحظون ظهورَ شعرِ الصنعة (أبو تمام) مقابل شعرِ الطبع (البحتري).

شعرُ الطبع هو تمثيلٌ للقيمِ العربيةِ القديمةِ المتوارثة، بينما شعرُ الصنعة وتعقيدُ البديع هو تمثيلٌ لـ(التعقيدِ الحضاري) والنهضةِ الفلسفيةِ التي شهدتها بغداد، إنَّ هجومَ النقادِ المحافظين على أبي تمام لم يكنْ هجوماً لغوياً فحسب، بل كان خوفاً سوسيولوجياً من ضياعِ الهويةِ العربيةِ البسيطةِ أمامَ التغريبِ الثقافي والتعقيدِ الشعوبي.

ويرى ابن **رشيق القيرواني** ان العرب قديمًا كانت تحتفي بالشاعر وتظهر الاهتمام والاحترام له، لأنها تعلم انه سيكون الذّائد الأول عن القبيلة، فيقول: ((كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر هنَّأتها القبائل، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يُصنع في الأعراس، وتباشر الرجال والولدان؛ لأنه حمايةٌ لأعراضهم، وذبٌّ عن أحسابهم، وتخليدٌ لمآثرهم، وإشادةٌ بذكرهم، وكانوا لا يهنَّأون إلا بغلام يُولد، أو شاعرٍ ينبغ فيهم، أو فرسٍ تُنتج)).

نماذج تطبيقية من الشعر العربي للمنهج الاجتماعي:

إلى أَن تَحامَتني العَشيرَةُ كُلُّها وَأُفرِدتُ إِفرادَ البَعيرِ المُعَبَّدِ

في هذا البيت تظهر عقوبة النبذ الاجتماعي، فحين يقرأ المتلقي لطرفة، لا يكتفي بجمال التشبيه، بل يتأمل في تأثير الجماعة على إبداع الشاعر، القصيدة هنا هي صرخة الذات ضد المؤسسة الاجتماعية، والجمال الفني نابع من صدق المعاناة الناتجة عن اختلال الرابطة الاجتماعية.

لقد فطن النقاد إلى أن المدح ليس مجرد تملق، بل هو قيمة تبادلية في المجتمع العربي، يقول **المرزوقي** في مقدمة شرحه لـ(ديوان الحماسة) متحدثاً عن عمود الشعر: (ومن معاييرهم: الإصابة في الوصف، والمشاكلة في المديح، فكانوا يمدحون البدوي بما يناسبه، والحضري بما يلائمه).

هذا يعني أن الناقد كان يرفض المديح العشوائي؛ فإذا مدحت بدوياً بلين الكف (وهي صفة حضرية) اعتبر ذلك قبحاً نقدياً لأنه لا يتناسب مع واقعه الاجتماعي الذي يتطلب خشونة العيش والكف.

وتأثر الشعر الجاهلي بواقع المجتمع تأثرًا مباشرًا، فكان مرآةً صادقةً لظواهره الاجتماعية والاقتصادية، ولا سيما ظاهرة الصعلكة التي نشأت عن الفقر والتهميش، فتحوّلت في بعض نماذجها إلى موقفٍ إنساني يحتجّ على اختلال القيم، اذ قال عروة بن الورد:

أُقَسِّمُ جِسْمِي في جُسُومٍ كَثِيرَةٍ وَأَحْسُو قَرَاحَ الماءِ وَالماءُ بارِدُ

ففي هذا البيت يصوّر الشاعر تضحيته وإيثاره، مجسّدًا روح التكافل في المجتمع المتصعلك بوصفها ردًّا أخلاقيًا على قسوة الواقع القبلي.

ومن أبرز المواقف الاجتماعية في الأدب العربي ما تعرض له الراعي النمير وقبيلته، حين هجاهم جرير بقوله:

فَغُضَّ الطَرفَ إِنَّكَ مِن نُمَيرٍ فَلا كَعباً بَلَغتَ وَلا كِلابا

يرى **أبو عبيدة:** (إن هذا البيت أذلَّ قبيلة نمير لعقود)، هنا القوة الشعرية لا تكمن في البلاغة فقط، بل في قدرتها على إعادة تشكيل الهرم الاجتماعي للقبائل.

فيُجمع النقاد على أن هذا البيت لم يكن مجرد شتيمة عابرة، بل كان صاعقة اجتماعية حلت بني نمير (قبيلة الراعي النميري الذي هجاه جرير)، اذ كانوا قبل هذا البيت يفخرون بنسبهم، لكن بعد انتشاره، صار الرجل منهم إذا سُئل (من أنت؟) يُطأطئ رأسه أو يكتفي بالقول من عامر (الجد الأكبر) هرباً من لقب نميري.